

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب - الوسطية بين الإفراط والتفريط

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين، الذي بُعث رحمة للعالمين لينقذهم من الظلمات إلى النور وبعد،

فمن خصائص الإسلام (الوسطية)، وتعني: التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويترد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله.

والتوازن الموجود في هذا الدين، أكبر من أن يقدر عليه الإنسان، بعقله المحدود، وعلمه القاصر، ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يضعه بشر من الإفراط أو التفريط.

والخالق سبحانه وتعالى هو القادر على إيجاد المنهج الذي يقوم على العدل والتوازن، لأن كل شيء في هذا الوجود يقوم على هذين الأمرين، فظاهرة التوازن واضحة جلية فيما أنزله الله من عقائد وشرائع، وهي واضحة أيضاً في الكون الذي يحيط بنا.

لقد اختار الله (الوسطية) شعاراً يميز هذه الأمة من غيرها، وذلك لأنها الرسالة التي ختم بها الرسالات الإلهية، فالوسطية صفة مهمة تليق بالرسالة الخالدة التي اختارها الله للبشرية.

ولعل ظاهرة التعصب والعنف التي تعصف بالمجتمعات البشرية في عصرنا الحديث، ومنها المجتمعات الإسلامية، تحتم علينا الرجوع إلى مفهوم الإسلام الصحيح القائم على وسطية الحق والعدل. ومن هنا بدا واضحاً مدى حاجة المسلمين إلى توضيح مفهوم الوسطية وبيان حقيقته، حتى لا يضيع بين إفراط وتفريط.

إن منهج الوسطية هو حبل النجاة، لأمتنا من التيه والضياع، الذي يهدد حاضرنا ومستقبلنا، فمعظم قضايانا تضيع فيها الحقيقة بين طرفين متباعدين، طرف الغلو والتطرف، وهو الذي يرهق الأمة ويوقعها في الحرج ويعسر عليها ما يسر الله، ويعقد ما سهله الدين، ينكفئ على الماضي، ولا يعايش الحاضر.

والطرف الآخر، طرف التسبب والتفريط والتقصير، فلا يكاد يتشبث بعقيدة، أو يتمسك بفريضة، أو يحرم حراماً، الدين عجينة لينة في يديه، يشكله كيف يشاء، ومتى شاء، ليس فيه ثوابت، بل كل شيء فيه قابل لاجتهاد جديد، أو لقراءة جديدة.

وفي هذا البحث حاولت أن أبين معنى الوسطية وأدلتها من القرآن والسنة، ومعنى الإفراط والتفريط، مبيناً بعد ذلك منطلقات وأسس الوسطية.

راجياً الله أن يلهمني الصواب في هذا البحث، فما أصبت فيه فهو بتوفيق وفضل من الله، وما أخطأت فيه فهو جهد بشري فيه الخطأ وفيه الصواب.

الفصل الأول

مفهوم الوسطية بين الإفراط والتفريط

١- تمهيد في مفهوم الوسطية

المتأمل في ما ورد في القرآن والسنة حول مفهوم الوسطية، يتضح له أن هذا المصطلح لا يصح إطلاقه إلا إذا توفرت فيه صفتان:

١- الخيرية

٢- العدل

فالوسطية تلازمها الخيرية، فلا وسطية من دون خيرية، ولا خيرية من غير عدل، فكل وسطية لابد لها من الخيرية والعدل.

وقد جاء وصف هذه الأمة بالوسطية في قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)) (البقرة: ١٤٣) لتدل على هذا التلازم بين الخيرية والعدل، يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره لهذه الآية: إن الوسط هو الخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط والنقص عنه تقصير وتفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميلٌ عن الجادة القويمة^(١).

فوصف هذه الأمة بالوسطية، تدل على أنها من العدول الأخيار، لأنه في ما عدا الوسط، فالأطراف مهددة بالخطر إما بالإفراط والمغالاة، وإما بالتفريط والتقصير.

لهذا فقد قال تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) (آل عمران: ١١٠) فالخيرية في هذه الأمة لم تكن إلا بسبب الأمر بالمعروف الذي لا يقود إلا للخير، والنهي عن المنكر والذي لا يقود إلا للظلم والفساد، وهذا كله يدل على الإيمان ويؤدي إليه.

وعلى هذا فالوسط المراد والمقصود منه هو العدل والخيرية، وبذلك يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وكلا الطرفين وصف مذموم ويبقى الخير والفضل للوسط^(٢). ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطاً في الاصطلاح أن يكون له طرفان، فالعدل وسط ولا يقابله إلا الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب^(٣).

٢- الإفراط والغلو

الإفراط هو مجاوزة الحد، والإسراف، يقال: أفرطت في قولك، إذا أسرفت فيه وتعديت، وفي هذا يقول تعالى: ((قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى)) (طه: ٤٥).

والغلو في معناه لا يختلف عن معنى الإفراط، فهو كذلك مجاوزة الحد، إذ يدل على ارتفاع ومجاوزة، فيقال: غلا السعر وذلك بارتفاعه.

وقد جاءت آيتان في القرآن الكريم فيهما نهي عن الغلو، قال تعالى في الآية الأولى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)) (النساء: ١٧١). أما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)) (المائدة: ٧٧).

وقد عُرف الغلو في الاصطلاح بأنه: المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد^(٤)، وهو كذلك مجاوزة الحد في الأمر المشروع، وذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرج عن الوصف الذي أراده وقصده الشارع العليم الخبير الحكيم^(٥).

والهدي النبوي ينهى عن الغلو ويحذر منه، وقد وردت أحاديث عديدة تنهى عن الغلو منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(٦).

قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم»^(٧).

قوله عليه الصلاة والسلام: «إن هذا الدين يسر، ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا»^(٨).

وكل هذه الأحاديث تبين أن الغلو خروج عن المنهج وتعدُّ للحد، وعمل ما لم يأذن به الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم.

والغلو يكون في الأمور الآتية^(٩):

- ١- إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله عز وجل عبادة وترهباً، ومقياس ذلك الطاقة الذاتية، حيث إن تجاوز الطاقة في أمر مشروع يعتبر غلواً.
- ٢- تحريم الطيبات التي أباحها الله على وجه التعبد، أو ترك الضرورات أو بعضها، ومن أدلة ذلك قصة نفر الثلاثة الذين سألوا عن عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكذلك لو اضطر مسلم إلى شيء محرم، وترك ذلك مما أدى إلى التهلكة، فإن ذلك من التشدد، وبيان ذلك أن الله هو الذي حرم هذا الشيء في حالة اليسر، وهو سبحانه الذي أباح أكله في حالة الاضطرار.

٣- أن يكون الغلو متعلقاً بالحكم على الآخرين، حيث يقف من بعض الناس موقف المادح المغالي، ويقف من آخرين موقف الذام الجافي، ويصفهم بما لا يلزمهم شرعاً كالفسق أو المروق من الدين.

٤- أن الغلو ليس هو الفعل فقط، بل قد يكون تركاً، فترك الحلال كالنوم والأكل ونحوه يعد غلواً كذلك.

إن الحكم على العمل بأنه غلو، أو أن هذا المرء من الغلاة، باب خطير لا يقدر عليه إلا العلماء الذين يدركون حدود هذا العمل، وتبحروا في علوم العقائد وفروعها، لأن الحكم على الشيء فرع من تصوره، فقد يكون الأمر مشروعاً ويوصف صاحبه بالغلو، لذا نرى اليوم أن الملتزمين بشرع الله، والمتمسكين بالكتاب والسنة يوصفون بالغلو والتطرف والتزمت ونحوها، ولذلك فإن المعيار في الحكم على الأفراد والجماعات هو الكتاب والسنة، وليست الأهواء والتقاليد والأعراف والعقول^(١٠).

وللإفراط والغلو مظاهر منها^(١١):

١. عدم الاعتراف بالرأي الآخر: فالتعصب للرأي، لا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، لأن من شأن هذا أن يؤدي إلى الانغلاق والجمود وعدم معرفة ما عند الآخر من رأي أو فكر، وهذا يمنع التطور نحو الأفضل، ويقطع أوصال أي مجتمع يصاب به، إذ يعطل أدوات الإنتاج فيه، ليبقى المتعصب ذاتاً بلا عمل منتج، بل هادم لنفسه قبل مجتمعه.

٢. الغلظة والخشونة في الدعوة، فالإسلام دين الرحمة والعدل، والله تبارك وتعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ((قَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) (آل عمران: ١٥٩)، فالغلظة لا تؤدي إلا إلى التنفير.

٣- سوء الظن بالناس: وهو ما حذر منه سبحانه وتعالى بقوله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)) (الحجرات: ١٢)، وفي الصحيح: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(١٢)، وأصل هذا كله هو الغرور والإعجاب بالذات، والازدراء للآخرين، يقول عليه الصلاة والسلام: «إذا قال الرجل: هلك الناس، فهو أهلكهم»^(١٣)، أي فهو أشدهم هلاكاً بغروره بنفسه، وسوء ظنه بالناس واتهامه لهم واستعلائه عليهم.

١- الفهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية

إن الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية من أهم البواعث والأسباب المؤدية إلى التعصب والغلو عند بعض الناس، إذ يأخذون أطرافاً من الآيات أو الأحاديث، ويفهمونها فهماً يقوم على الأهواء، ولا يستند إلى علم صحيح، بعيداً عن أقوال أهل العلم من المفسرين والمحدثين، وبعيداً أيضاً عن روح الإسلام وحقيقته المشرفة. وقد أدى ذلك عند هؤلاء إلى تكفير المجتمعات الإسلامية، من غير النظر في النصوص بشكل علمي صحيح، مما جعلهم يجتزئون بعض النصوص ويغفلون بقية النص، ليصلوا بعد ذلك إلى ما تريده أهواؤهم ومقاصدهم. إن الجهل بالعلم الشرعي هو سبب الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية، وهو الباعث للتعصب والتطرف.

ومن المؤكد أن الجهل والفهم الخاطئ، هما السبب كذلك للسطحية في إصدار الأحكام والفتاوى بحق الناس من تكفير وإخراج عن الدين والملة، وما كان قتل الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه إلا بسبب الجهل والفهم الخاطئ من قبل الخوارج، مما أدى إلى القتل والتدمير الذي أحدثوه في جسد الأمة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

٢- الإعجاب بالنفس

فقد نهى الله عن العجب والكبر فقال: ((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)) (لقمان: ١٨)، كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكبر فقال: «ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى، قال: «كل عَتَلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ»^(١٥)، والعتل: الجافي الشديد الخصومة بالباطل، والجَوَّاز: الفظ الغليظ المتكبر في مشيته.

والإعجاب بالنفس يؤدي إلى التطرف، فالمعجب بنفسه يرى نفسه أكبر من غيره، وأن رأيه أفضل من رأي غيره، وأنه على الحق والإيمان، وأن غيره على الكفر والضلال، والمعجب بنفسه يقف عند بعض ظواهر النصوص دون الإحاطة بجملتها، فيخطئ المنهج القويم الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويصدر الأحكام من عند نفسه.

ومن أهم أسباب الإعجاب بالنفس، الصدارة للعمل قبل النضج وكمال التربية، وذلك أن الظروف قد تجعل بعض الناس يتصدرون العمل قبل أن يستوي عودهم،

وقبل أن تستكمل شخصيتهم، وحينئذ يعتقد البعض أنه ما وضع في هذا الموقع إلا لما يحمله من علم ومؤهلات، وما لديه من مواهب وإمكانات.

٣- التفريط أو (التقصير):

بعد أن بَيَّنَّا معنى الغلو والإفراط، وما يدل عليه، وأهم مظاهره وبواعثه، نقف الآن مع ما يقابلها، وهو التفريط والتقصير في أمر الله.

وذلك أن المنهج الإسلامي يقوم على الوسطية القائمة على الخير والعدل، وهو لذلك لا يقبل الغلو والتعصب، وبالمقابل لا يقبل التفريط والتضييع في حق الله وما أنزله من أحكام وشرائع، فالخيرية في هذه الأمة ما دامت تضع يدها على الظالم فتمنعه من ممارسة ظلمه مهما كانت الأسباب والدوافع.

فالتفريط في اللغة هو التقصير، وقد وردت هذه الكلمة ومشتقاتها في كتاب الله وكلها تدل على التقصير والتضييع، منها:

قوله تعالى: ((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا)) (الأنعام: ٣١)، أي: يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها.

قوله تعالى: ((وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)) (الكهف: ٢٨)، أي كان أمره ضياعاً وهلاكاً، لأنه ترك أوامر الله ونواهيه.

قوله تعالى: ((أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ)) (الزمر: ٥٦)، أي يا حسرتي على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله^(١٦).

وتفسير هذه الآيات يدل على ذم الترك والتهاون والتقصير والتضييع في أحكام الله وشرائعه، لأن مآل المتهاون المضيع غضب الله وعذابه وهلاكه، وهلاك المضيع مثل هلاك المغالي، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «هلك المتنطعون».

فالإسلام يعلم المسلم أن يحذر من تطرف كلا الفريقين، وأن يلتزم المنهج الوسط، أو الصراط المستقيم، لما فيه من بعد عن الميل والانحراف.

٤- الوسطية هي الصراط المستقيم

فالصراط المستقيم يدل على الوسطية، لأنه لا اعوجاج فيه، وهذا ما وضحه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن جابر بن عبد الله قال^(١٧): كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده على الخط الأوسط، فقال: هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (الأنعام: ١٥٣).

فالصراط المستقيم إنما هو الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد^(١٨).

وقد ذكر القرطبي في تفسيره: أن رجلاً قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وثم رجال يبدعون من مرّ بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ عن الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ)) (الأنعام: ١٥٣).

فالصراط المستقيم يمثل قمة الوسطية وذروة سنامها وأعلى درجاتها، وإن الوسطية تعني الخيرية، سواء أكانت خير الخيرين أم خيراً بين شرّين، أم خيراً بين أمرين متفاوتين.

والمقياس في تحديد الخيرية هو الشرع، وليس هوى الناس أو ما تعارفوا عليه، وذلك لأن بعض الناس قد فهم الوسطية بمعنى التنازل أو التساهل والمداهنة^(١٩)، وهذا مناقض لمعنى الصراط المستقيم ومعنى الوسطية، كما جاءت به الآيات القرآنية وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن هنا فقد علّم الإسلام المسلم أن يسأل الله الهداية للصراط المستقيم كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة، هي عدد ركعات الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة، وذلك حين يقرأ فاتحة الكتاب في صلاته فيقول داعياً ربه: ((إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) (الفاتحة: ٦ - ٧).

فمنهج الإسلام المستقيم وحده ينفرد بهذه الميزة (الوسطية) دون غيره من الملل، والمعنى في ذلك أن كلا الطرفين (المغضوب عليهم والضالين) يمثلون الإفراط والتفريط. فالإسلام يُعلم المسلم أن يحذر من تطرف كلا الفريقين، وأن يلتزم المنهج الوسط، أو الصراط المستقيم^(٢٠).

الفصل الثاني

منطلقات وأسس الوسطية

هناك العديد من المنطلقات والأسس التي يجب أن تنطلق منها الوسطية في المنهج الإسلامي منها:

١- اليسر ورفع الحرج

اليسر ورفع الحرج مرتبة عالية بين الإفراط والتفريط، وبين التشدد والتلطع، وبين الإهمال والتضييع^(٢١).

وذلك أن رفع الحرج والسماحة والسهولة راجع إلى الاعتدال والوسط، فلا إفراط ولا تفريط، فالتنطع والتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والإفراط والتقصير حرج فيم يؤدي إليه من تعطيل المصالح وعدم تحقيق مصالح الشرع^(٢٢).

وقد وردت آيات كثيرة تبين أن هذا الدين دين يسر، وإن الله قد رفع الحرج عن هذه الأمة فيما اضطرت إليه، فلم يكلفها إلا وسعها، منها:

قوله تعالى: ((اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)) (البقرة: ١٨٥).

قوله تعالى: ((وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)) (الحج: ٧٨).

قوله تعالى: ((مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (المائدة: ٦).

قوله تعالى: ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)) (الطلاق: ٤).

وهناك أحاديث كثيرة تخص اليسر والتيسير والتخفيف على الناس منها:

١- أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري قال لهما: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»^(٢٣).

٢- وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لم يبعثني متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً»^(٢٤).

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن منكم منقّرين، فأياكم أمّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذو الحاجة»^(٢٥).

وهذا النهج الذي وضعه لنا الله تبارك وتعالى ورسوله، لا يعني التفريط والتساهل والتهاون بحجة أن هذا الدين يسر، فلا إفراط ولا تفريط، وكذلك قال سفيان الثوري: إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد.

وإذا كان التيسير مطلوباً في كل زمان، فهو أشد ما يكون طلباً في هذا العصر، الذي غلبت فيه الماديات على المعنويات، وتعقدت فيه حياة الناس، وكثرت العوائق على الخير والمغريات بالشر.

والتيسير المطلوب هنا: لا يعني تبرير الواقع، أو مجارة الغرب، أو إرضاء الحكام. ولا أعناق النصوص حتى تفيد التيسير قسراً، فيحلوا الحرام، ويبدلوا الأحكام، فهذا مرفوض، فهو كموقف الذين يعسرون ما يسر الله، ويعرضون عن كل قول فيه تخفيف على عباد الله^(٢٦).

٢- الحرية

إن أهم ما يميز الإنسان هو ما حباه الله من عقل، لذلك فإن توظيف هذا العقل واستخدامه بكفاءة هو الطريق الأمثل لكي يعيش الإنسان سعيداً ناجحاً في هذه الحياة، والعقل كما نعلم هو مناط الفكر والتفكير والاختيار، بداية من الاختيار بين الخير والشر، وحتى الاختيار بين البدائل في مجالات حياته المختلفة، وإذا لم يتح للإنسان بدائل مختلفة للاختيار فإن وظيفة العقل تتوقف، وبالتالي يفقد الإنسان أهم سمة من سمات تميزه دون باقي المخلوقات^(٢٧).

لذلك فإن الحرية النابعة من قيم المجتمع واختياراته العقائدية قيمة أساسية يجب أن تسود في أي مجتمع يريد أن يصل إلى مستوى حضاري متقدم، فالإسلام يدعو إلى الحرية في مجالات الحياة كلها، لأن اختفاء الحرية ووجود الاستبداد الفكري والسياسي يولد التطرف وينشئ أجيالاً لا تتسم بالتعصب والتزمت.

٣- الأخلاق والقيم

وهي أحد المنطلقات الهامة التي لا يمكن للأمة الوسطية أن تقوم بدونها، لأنها هي الضمانة الأساسية لاستمراريتها، والقيم الأخلاقية المطلوبة ليست المثالية التي تعتبر الإنسان ملاكاً، وهي أيضاً ليست الإفراط في الواقعية التي تعتبر الإنسان كالحيوان، وتبرر له من السلوك ما لا يليق به^(٢٨).

إضافة إلى ذلك فإن من الوسطية رفض موقف الذين يعتبرون العبادات الشعائرية هي كل شيء في الدين وإن لم تؤثر في أخلاقهم وسلوكهم، وموقف الذين يعتبرون الأخلاق كل شيء وإن لم يؤدوا فرائض ربهم^(٢٩).

٤- وضع التكليف في مراتبها الشرعية

إن فهم التكليف والأعمال فهماً متوازناً، يضعها في مراتبها الشرعية، وينزل كل تكليف منزلته وفق ما جاءت به النصوص، فلا يجوز أن يُكَبَّر الصغير، ولا أن يُصَغَّر الكبير، ولا يؤخر ما حقه التقديم، ولا يقدم ما حقه التأخير، ومن هنا وُجِبَ تقديم العقيدة على العمل، والأصول على الفروع، والفرائض على النوافل^(٣٠).

٥- السلام وفريضة الجهاد

فالإسلام يدعو إلى السلام مع كل من بسط يده للسلام، لتجنيب البشرية الحروب المدمرة بغير ضرورة، والسعي إلى الصلح والمعاهدات بين الدول، هذا مع التمسك بفريضة الجهاد في سبيل الله للدفاع عن حرمة الدين والمقدسات، وعن أرض الإسلام، وأمة الإسلام،

وإعداد أقوى ما يستطيع من العدة العسكرية لإرهاب الأعداء، وتوعية الأمة بأن الجهاد مفروض عليها فرض عين لتحرير أرضها من كل سلطان أجنبي مسلط عليها، ولهذا كانت مقاومة الاحتلال فرضاً دينياً مؤكداً حتى يطرد من أرض الإسلام^(٣١).

• • • • •
• • •
•

- (١) تفسير المنار ٢ / ٤.
- (٢) الوسطية في الإسلام / د. زيد عبدالكريم الزيد: ١٨.
- (٣) المصدر السابق: ٣٣.
- (٤) فتح الباري / ابن حجر: ١٣ / ٢٥٦.
- (٥) الوسطية في القرآن الكريم / د. علي الصلابي: ٤٣.
- (٦) سنن ابن ماجه ٢ / ١٠٠٨ رقم الحديث ٣٠٢٩.
- (٧) سنن أبو داود ٤ / ٢٧٧ رقم الحديث ٤٩٠٤.
- (٨) صحيح البخاري ١ / ١١٦.
- (٩) الغلو في الدين / عبدالرحمن بن معلا اللويحق: ٨٣، ٨٤.
- (١٠) الوسطية في القرآن الكريم / د. علي محمد الصلابي: ٤٦.
- (١١) انظر: التطرف حقيقته وبواعثه / إفتاء القوات المسلحة الأردنية ٢٨ - ٣٠.
- (١٢) حديث متفق عليه: البخاري / كتاب الوصايا، ومسلم كتاب / البر.
- (١٣) مسلم / كتاب البر.
- (١٤) انظر: التطرف وحقيقته وبواعثه - مديريه الإفتاء في القوات المسلحة الأردنية: ٣٨ - ٧٢.
- (١٥) متفق عليه: البخاري / كتاب الأدب. مسلم / كتاب الجنة.
- (١٦) تفسير الطبري: ٢٤ / ١٩.
- (١٧) أخرجه ابن ماجه، باب اتباع رسول الله: ١ / ٦ رقم الحديث ١١.
- (١٨) كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها / د. يوسف القرضاوي ص ١٣.
- (١٩) الوسطية في القرآن الكريم / د. علي الصلابي ص ٥٧.
- (٢٠) كلمات في الوسطية الإسلامية / د. يوسف القرضاوي ص ١٣ - ١٤.
- (٢١) المصدر السابق ص ١٠٢.
- (٢٢) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية / د. صالح بن حميد ص ١٣.
- (٢٣) شرح صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الأداب: ١٠ / ٥٤١.
- (٢٤) أخرجه مسلم، كتاب الطلاق ٢ / ١١٠٤ رقم ٤٧٨.
- (٢٥) أخرجه مسلم / شرح مسلم للنووي، كتاب الصلاة ٤ / ١٨٤.
- (٢٦) كلمات في الوسطية / د. يوسف القرضاوي ص ٤٣.
- (٢٧) الحضارة الوسط / محمود عاكف ص ٢٥.

(٢٨) المصدر السابق ص ٣٠.

(٢٩) كلمات في الوسطية / د. يوسف القرضاوي ص ٤١.

(٣٠) المصدر السابق ص ٤٠.

(٣١) المصدر السابق ص ٤٥.